الهجرة العالمية وحماية اللاجئين: قضية رئيسية في عصرنا

برونو جيدو

نيكولتا جيوردانو

لا يكاد يمر يوم من دون أخبار عاجلة عن المهاجرين واللاجئين. قبل نحو شهر، صدم العالم من خلال سلسلة من الكوارث في منطقة البحر الأبيض المتوسط التي تسببت في موت أكثر من 500 شخص من طالبي اللجوء والمهاجرين الذين حاولوا الوصول إلى لامبيدوزا والسواحل الجنوبية من أوروبا على متن سفن واهية، ومكتظة بالركاب. وهذه الظاهرة للناس الذين يلجئون إلى رحلات محفوفة بالمخاطر بحثا عن الحماية أو فرص الحياة الكريمة أصبحت قضية رئيسية في عصرنا هذا.

من الحوادث المبلغ عنها هذا الأسبوع من منطقة آسيا والمحيط الهادئ، تعرض قارب يحمل 70 من الروهينجا من الرجال والنساء للانقلاب، حيث توفي أكثر من 90 من المهاجرين من النيجر الذين تقطعت بهم السبل، و تستمر التحركات الخطرة بالحدوث على البر أو على البحر. و تحدث مثل هذه المآسي المروعة بانتظام ولكن غالبا ما تذهب دون أن يلاحظها أحد. خذ على سبيل المثال مضيق باب المندب، حيث شريط ضيق من الماء يفصل بين القرن الأفريقي من شبه الجزيرة العربية.

وعلى مدى السنوات الخمس الماضية، عبر أكثر من نصف مليون شخص (معظمهم من الصوماليين والإثيوبيين والإرتريين) الممرات المائية الخطرة في خليج عدن والبحر الأحمر للوصول إلى اليمن (وهذا الرقم لايشمل أولئك الذين جاؤوا من قبلهم) . و تقارير سوء المعاملة والاغتصاب والتعذيب بين الناس الذين يخوضون غمار الرحلة كثيرة جدا. و دائماً ماتكون القوارب التي تعبر إلى اليمن مكتظة، وقد أصبح من المعروف أن المهربين يقومون بإلقاء المهاجرين في البحر لمنع انقلاب القارب، أو لتجنب خفر السواحل. و يسبب هذا موت المئات من الضحايا الذين لم نسمع بهم على مر السنين. وعلاوة على ذلك، فإن المأساة لا تتوقف عند الشواطئ، لأن العديد من الوافدين الجدد يتم اختطافهم وتعرضهم للتعذيب والجوع والاستغلال والإيذاء الجنسي للحصول على فدية. ففي سبتمبر 2013 وحده، تم الإبلاغ عن حوالي 2,529 من المهاجرين الذين تعرضوا للاختطاف من قبل عصابات التهريب، و تم تسجيل 30 حادثه من الإعتدات و العنف القائم على النوع الإجتماعى، بالإضافة إلى 273 حالة من الاعتداءات الجسدية و 198 إطلاق نار على المهاجرين عند وصولهم على شواطئ اليمن.

أن حركة الهجرة المختلطة المعقدة من الشرق والقرن الأفريقي يؤثر على المنطقة كاملة و ليس اليمن فقط. و تشمل هذه التدفقات طالبي اللجوء الفارين من الصراع والاضطهاد وكذلك المهاجرين الذين يتم تهريبهم من قبل المهربين و المتاجرين بالبشر. و تتحرك هذه المجموعات بحثا عن حياة كريمة وفرص عمل في دول الخليج. و تعتبر قوى السوق من العوامل المساعدة، الذي تشكله الأنشطة و الحركة الاقتصادية بين المنطقتين. و منطقة القرن الأفريقي من المناطق المنكوبة بسبب الصراع وانعدام الأمن والفقر والجفاف والمجاعة في حين أن شبه الجزيرة العربية هي موطن للاقتصاديات المزدهرة مع الطلب القوي على العمل. و طالما كان هناك مثل هذه التفاوت الاقتصادي الواضح بين هاتين المنطقتين، فأن الناس سوف تواصل التحرك للحصول على فرص عمل، وذلك باستخدام اليمن كبوابة للبلدان الغنية بالنفط. أن عوامل الشد والجذب لا يمكن تجاهلها أو غض الطرف عنها. أن الهجرة الغير النظامية أمر لا مفر منه خاصة عندما تكون فرص الهجرة القانونية محدودة.

و نعتقد أنه لابد من الاعتراف بالهجرة العالمية، ويمكن أن تعالج من خلال إدارة أفضل على المستويات العالمية والإقليمية والوطنية. و يجب أن يبدأ هذا بالاعتراف بأن المهاجرين يهاجرون لعدة أسباب وبأن اللاجئين يشكلون جزءا من تدفقات الهجرة المختلطة. أن المهاجرين واللاجئين ليسوا متلقين سلبيين للمساعدات ولكن يجلبون معهم نقاط قوة و منها أنهم تمكنوا من البقاء على قيد الحياة ضد احتمالات هائلة في أكثر البيئات المعادية. في حين أنه من واجبنا حماية اللاجئين والمهاجرين من العنف وسوء المعاملة، ينبغي لنا الاستفادة من الفرص التي يقدمونها من الطاقة والمهارات والموارد ليس فقط لتحسين حياتهم ولكن أيضا للمساهمة في النمو الاقتصادي للبلدان المستقبلة وإلى التنمية الاجتماعية في المجتمعات المضيفة.

و هذا هو بالضبط مانحتاجه من بغية الاعتراف بنطاق المسألة، و تحسين إدارة الهجرة بين القرن الأفريقي وشبه الجزيرة العربية ، و من هنا قامت حكومة الجمهورية اليمنية بتنظيم مؤتمر إقليمي بشأن اللجوء والهجرة بدعم من المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين و المنظمة الدولية للهجرة . وتهدف هذه المبادرة إلى إنتاج خطة إقليمية قابلة للتطبيق مع أربعة أهداف رئيسية وهي: (1)

تعزيز إنفاذ القانون للحد من شبكات التهريب والاتجار بالبشر المسئولة عن الانتهاكات المروعة لحقوق الإنسان ضد المهاجرين واللاجئين ، وتعزيز حماية اللاجئين ، (2) زيادة احتمالات العودة للذين تقطعت بهم السبل والمهاجرين المعوزين في العودة إلى ديارهم بطريقة إنسانية وكريمة من خلال تمويل ثابت لبرامج المساعدة على العودة الطوعية ، (3) توسيع خيارات الهجرة الشرعية بين البلدان المرسلة والمستقبلة لتلبية الطلب القوي على العمالة ذات المهارات المنخفضة ، وبخاصة في قطاعات الزراعة و تربية الماشية، الأمر الذي سيقلل من المخاطر التي يشكلها المهربين و المتاجرين بالبشر، (4) رفع الوعي بالمخاطر الجسيمة المرتبطة بالهجرة غير النظامية و البدائل الممكنة لها، خاصة بين المجتمعات المرسلة و المصدرة للمهاجرين. و أى تقدم ملموس نحو تحقيق هذه الأهداف الأربعة سوف يساهم في تحسين فرص الحصول على الحماية للاجئين في المنطقة ، في نفس الوقت تخفيف من معاناة المهاجرين و الصعوبات التي تواجهها المجتمعات المضيفة .

أن المهاجرين واللاجئين هم من البشر، ولكنهم أقل حظاً من غيرهم. فهم من خلال الإرادة الجاد والمثابرة والصبر تمكنوا من البقاء على قيد الحياة ويسعون جاهدين لإعادة بناء حياتهم في بلد أجنبي. ويحتاج اللاجئين من الصراع والاضطهاد أيضا إلى حماية يتوفر لهم الأمن فى بلدانهم ليتمكنوا من العودة إلى ديارهم. يجب القول هنا و التأكيد بأن المهاجرين واللاجئين يستحقون احترامنا جميعاً.

وكان اليمن، ولا يزال، بلد سخي و كريم بشكل منقطع النظير مع اللاجئين و يعتبر نقطة عبور محورية للهجرة الاقتصادية. و يشارك اليمنيون عن طيب خاطر مواردهم المحدودة وليس هناك أي نوع من العداء في حياتهم اليومية مع الأجانب من كافة البلدان.

يجب على العالم أن يتعلم من سخاء اليمن الذي أظهره على مدى العقود الماضية، هذا إذا كنا نريد تجنب الكوارث في المستقبل مثل ما حدث في لامبيدوزا، وفي باب المندب والعديد من الأماكن الآخري الذي قد لانسمع عنها.

.....

* السيد برونو جيدو هو ممثل المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين فى اليمن و السيدة نكوليتا جيوردانو هى ممثل المنظمة الدولية للهجرة فى اليمن